الحُجَّة القاطعة

على من يُنكر رسالة سيدنا محمد ﷺ

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة الكوثر)

من الصفحة ١٣٠ حتى الصفحة ١٣٩

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

جميع الأنبياء وأممهم التابعة لهم يشهدون
أن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

قال سيدنا علي أمير المؤمنين رضي الله عنه، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخَذَ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره ـ أي: أمر الله تعالى كل نبي ـ أَنْ يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث الله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصُرنه، وذلك باتباعه والعمل بما جاءهم به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومناصرته على أعدائه.

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه أبو يعلى وغيره، عن جابر

---

(١) هذا بدل من البينة بدل مطابق، أو خبر لمحذوف تقديره: هي رسول والتنوين فيه للتفخيم والتعظيم، والمراد به رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم؛ ما حلَّ له إلا أن يتبعني» الحديث كما في (تفسير) ابن كثير وغيره.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإمام الأعظم، ورسول الله تعالى الأكرم، إمام الأنبياء والمرسلين في جميع العوالم في الدنيا والآخرة، ولذلك كان إمامَهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا في بيت المقدس، كما ثبت في الصحاح، وهو إمامهم يوم القيامة:

جاء في الحديث الذي رواه سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة كنتُ أنا إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر»[1].

أي: يقول ذلك تحدُّثاً بنعمة الله تعالى، الذي قال له: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

ويرحم الله تعالى القائل:

أيا قمراً في مطلع الحسن دائب ... ويا شمس حسن مالها قطُّ حاجب
ويا سيداً منه العُلا والمواهب ... إليكَ وإلاَّ لا تُشدُّ الركائب
وعنك وإلاَّ فالمحدِّث كاذب
إذا شرب العُشَّاق من كل مشرب ... وهاموا غراماً في سليمى وزينب
فإنَّ غرامي فيك يا أيها النبي ... وحبُّك يا خير النبيين مذهبي
وللناس فيما يعشقون مذاهب

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي وابن ماجه، والحاكم كما في (الجامع الصغير) رامزاً لصحته.

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية الكريمة إلزام وإفحام، وحجة قاطعة؛ على من ينكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويزعم أنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كاهن أو ساحر، أو شاعر أو مفترٍ، وإنما هو رسول الله حقاً، يستحيل أن يكون كما زعمه المنكرون لرسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبيان ذلك: أن المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إما أَنْ يكون مؤمناً برسالة أَحدٍ من الرسل قبله، وإما أن يكون منكراً لجميع رسالات الرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

فيقال لمن ينكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن يَزعم أَنَّه يؤمن بالرسل قبله، أو ببعضهم كسيدنا إبراهيم، أو سيدنا موسى، أو سيدنا عيسى، أو غيرهم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

يقال له: بماذا ثبت عندك أَنَّ إبراهيم، أو موسى، أو عيسى هم رسل الله تعالى؟

فإن قال: ثبت ذلك عندي بإنزال الله تعالى الكتاب عليهم، فأنزل الله تعالى على إبراهيم صحفاً، وعلى موسى التوراة، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى داود الزبور.

فيقال له: نَعمْ لقد أنزل الله تعالى عليهم ذلك، وقد أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتاباً أعظم من تلك الكتب كلها، وأجمع منها، وقد ذكر الله تعالى فيه كل شيء كما

قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾، وفيه تبيان كل شيء، كما قال تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

وفيه الإخبار عن كل شيء، مما مضى وما هو آتٍ، وقد جاء هذا الكتاب النازل عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، جاء معجزاً مع التحدِّي لجميع العالم، والإنس والجن، وبالمقارنة بين هذا الكتاب النازل عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين بقية الكتب النازلة على الرسل قبله؛ يَتبيَّن فضل هذا الكتاب القرآني على جميع تلك الكتب قبله، وأنَّه هو المهيمن عليها.

فالواجب عليكم إذاً أن تؤمنوا برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من باب أولى وأحقُّ وأجدر، وإنّ الحق الذي لا ريب فيه هو كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وإن قال المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إنّ رسالة إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى ابن مريم عليهم السلام ثبتت بالمعجزات، وخوارق العادات، التي أيَّدهم الله تعالى بها.

قلنا في الجواب: نعم، إنَّ ذلك حق؛ ولكن الله تعالى قد أيّد سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمعجزات أكثر، وأكرمه بخوارق للعادات أكبر وأعم وأشهر، فاقت على جميع معجزات الرسل قبله: منها ما هو مذكور في القرآن الكريم، ومنها ما جاء في الأحاديث المتواترة، والمشهورة بالأسانيد المتصلة، وقد صُنِّفت فيها الكتب الواسعة الكبرى، وهي أنواع متعددة، فالواجب إذاً الإيمان

برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من باب أولى وأحق[1].

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، لا كما يقول الجاحدون لرسالته، الثابتة بالبراهين القطعية، اليقينية، التي لا ريب فيها، ويستحيل نقضها.

وأما المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولجميع رسالات الرسل ـ صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين ـ فيقال له : كيف تنكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذه المعجزة الكبرى أمامك، وهي القرآن العظيم، للأولين والآخرين، والذي يتحدَّى جميع العلماء والحكماء والفصحاء والعقلاء؛ إلى يوم الدين، يتحدَّاهم أن يأتوا ولو بسورة مثله؛ فلم يستطيعوا؛ ولن يستطيعوا.

وقد أعلن الله تعالى عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، ولو تعاون الإنس و الجن واجتمعوا على ذلك كلهم أجمعون.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فسجَّل عجزهم عن الإتيان بمثله: على مدى الزمان وتتابع العصور والأمم والأجيال، وتسجيل عجزهم عن الإتيان بمثله هو أعظم في التحدي وأشد وأقوى.

والكلام على بيان وجوه الإعجاز صنف العلماء المتقدمون فيه

---

(١) انظر كتاب (هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان) تجد التفصيل، وكتاب (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان).

كتباً متنوعة واسعة، جزاهم الله تعالى خيراً، ومع ذلك لم يُحيطوا بوجوه إعجاز القرآن الكريم، فإنَّ من جملة إعجاز القرآن العجز عن الإحاطة بوجوه إعجازه، وإنَّما ذكر العلماء وجوهاً من الإعجاز، كلٌّ تكلم على حسب علمه واطلاعه ـ جزاهم الله تعالى خيراً.

وقد ذكرت جملة موجزة حول بعض وجوه الإعجاز في كتاب: (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)، وكتاب: (هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان) وغيرهما، ذكرت فيها أطرافاً مختصرة حسب المناسبة، فارجع إليها تنتفع إن شاء الله تعالى.

وقد بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّ أكبر معجزة خصَّه الله تعالى بها، شاهدة بأنه رسول الله تعالى، وخاتم النبيين، وحجة قائمة على جميع المنكرين لرسالته والمكذبين، وهي محفوظة باقية إلى يوم الدين، لا يعتريها تبديل ولا تحريف، ولا زيادة ولا نقصان، ولا تتغيَّرُ على مدى الأزمان لأنها محفوظة بحفظ ربِّ العالمين، تلك المعجزة هي هذا القرآن الكريم.

روى الشيخان[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من نبي من الأنبياء إلا وأعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله تعالى إليَّ، فأرجو أَن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

فكل نبي أعطاه تعالى من المعجزات، ما يَدلُّ البشر على صدق نبوته، وتقوم به الحجة على أنَّه نبي الله تعالى حقاً، فيؤمنون به.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنّما كان الذي أُوتيتُه»

---

(١) كما في (التيسير) وغيره.

أي: خصني الله تعالى به، فوق المعجزات الخارقة للعادة «وحياً» أي: وحياً قرآنياً خاصّاً، معجزاً محفوظاً؛ بحفظه تعالى، باقياً إلى يوم الدين، لا يعتريه تحريف ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقص.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنّما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ» أي: ما آتى سبحانه لأحدٍ من الأنبياء مثله في إعجازه، وتكفُّله سبحانه بحفظه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وأما الكتب الإلٰهية النازلة قبل هذا القرآن الكريم، فلم يتكفل سبحانه وتعالى بحفظها، وإنَّما وكَلَ حفظها بعد وفاة الرسل النازلة عليهم ـ وكَلَ حفظها إلى علماء تلك الأمة، كما قال الله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ الآية، فما استطاعوا أن يحفظوها بل جرى عليها التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنَّما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

ولا شك أَنَّ رجاءه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو محقق الوقوع، فإن أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثر من جميع أتباع الرسل، كما جاء في الحديث عن بُريدة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أهلُ الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة» ـ أي: الأمة المحمدية ـ «وأربعون من سائر الأمم»[1].

---

(١) كذا في (الجامع الصغير) وبيَّن أنه رواه أحمد والترمذي، وابن حبان، =

فمن خصائص هذا القرآن الكريم، أَنَّه محفوظ من التبديل والتغيير، بحفظ الله تعالى، وأنه باقٍ إلى يوم القيامة، حجة على العالمين، لأنه أُنزل على خاتم النبيين، الذي أرسله الله تعالى إلى جميع القرون والأمم الآتية إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ الآية.

أي: لينذر به من كان في عصره، وينذر به مَنْ بلغه هذا القرآن إلى يوم الدين، ولذلك تكفَّل الله تعالى بحفظه وإبقائه حجة على العالمين، وبلاغاً إلى يوم الدين.

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ بَلغه القرآن فكأنما شافهتُه به»، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[1].

وعن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: مَنْ بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أي: وبلَّغه.[2]

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن الحسن، أَنَّ

= والحاكم عن بريدة رضي الله عنه، ورواه الطبراني عن ابن عباس وابن مسعود وعن أبي موسى رضي الله عنهم، ورمز لصحته.

(١) عزاه في (الدر المنثور) إلى ابنٍ مردويه وأبي نعيم والخطيب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كلهم عن محمد بن كعب القُرظي كما في (الدر المنثور).

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يا أيها الناس بَلِّغوا[1] ولو آية من كتاب الله تعالى، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله؛ أخذها أو تركها».

ومن خصائص هذا القرآن الكريم أَنّ أهل الجنةِ يقرؤونه في الجنة، وأن الله تعالى يتلوه على أهل الجنة:

روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقال لصاحب القرآن إقرأ وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال: كأن الناس ـ أي: المؤمنين ـ لم يسمعوا القرآن قبل يوم القيامة حين يتلوه الله تعالى عليهم ـ يعنى: أن المؤمنين حين يسمعون القرآن في الجنة من الله تعالى كأنَّهم ما سمعوه من قبل حين كانوا في الدنيا.

وقد ذكرت في كتابي (حول تفسير الإخلاص والمعوذتين) ذكرت هنالك أَنَّ من أكبر نعيم أهل الجنة سماعهم تلاوة القرآن من الله تعالى، ذي العزة والجلال، وذكرت هناك الأدلة الواردة في ذلك فارجع إليها.

وهذا يدلك على بَقاء القرآن أبداً لا انتهاء له، وعلى دوام ثواب تلاوته، بدليل ما تقدم في الحديث: «يقال لصاحب القرآن» ـ أي:

---

(١) أي: بلغوا عني ولو آية، كما جاء في (صحيح) البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «بلِّغوا عني ولو آية» الحديث.

في الجنة ـ «إقرأ وارق» ـ أي: ارق في المنازل العالية ـ «فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»، فهو لا يزال يقرأ ويرقى في المنازل ، فثواب تلاوته، لا ينقطع أبداً.

ونسأل الله تعالى أَن يجعلنا منهم بجاه حبيبه الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

انتبه:

دقّات قلب المرء قائلة له ... إنَّ الحياة دقائق وثواني
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

* * *

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس ... عليه من الإنفاق في غير واجب

لا تغرنك الدنيا ولاحطامها:

فلو كانت الدنيا ثواباً لمحسن ... إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم